

دور فقهاء الجنوب الجزائري في تيسير حفظ مسائل الفقه المالكي من خلال النظم الفقهي

بقلم:

د / عمر بوعلالة أ / عبد الله حاج أحمد

جامعة الوادي



ملخص

برع الفقهاء المالكيين في مناطق الجنوب الجزائري، في نظم المسائل الفقهية؛ مما ولد تراثاً فقهياً زاخراً يحمل في طياته مختلف الفوائد العلمية المتعلقة بأصول الأحكام، وطريقة التطبيق؛ وربما جاز القول إن هذا العمل طرح نظرية متكاملة للفتوى في الفقه المالكي.

وعليه تأتي هذه الدراسة لتكشف عن «دور فقهاء الجنوب الجزائري في تيسير حفظ مسائل الفقه المالكي من خلال النظم الفقهي». وذلك من خلال محورين: يتناول الأول مسيرة انتشار وتمكن الفقه المالكي في مناطق الجنوب الجزائري الممهدة لظهور المنظومات الفقهية لاحقاً. والثاني مخصص للمنظومات الفقهية في مناطق الجنوب الجزائري بين المضمون والوظيفة.

الكلمات المفتاحية:

الجنوب الجزائري؛ الفقه؛ المذهب المالكي؛ المنظومات الفقهية؛ الحفظ.

Abstract:

Malikis Ulama of fiqh in southern Algeria excelled in arrange of fiqh issues. Which generated a rich fiqh heritage that carries with it various scientific benefits related to the fundamentals of provisions and the method of their application; Perhaps it may be said that this work put forward an integrated theory of fatwa in Maliki fiqh.

Accordingly, this study comes to reveal "the role of the Ulama al-fiqh in the southern Algeria in facilitating the preservation of issues of Maliki fiqh through fiqhia Poems".

And this through two axes: The first deals with the spread and empowerment of Maliki fiqh in the regions of southern Algeria, which paved the way for the emergence of fiqh poems. The second is dedicated to the fiqh poems in the regions of southern Algeria in terms of content and function

key words:

Southern Algeria; fiqh; The Maliki school; The fiqh poems.

أولاً: مسيرة انتشار وتمكن الفقه المالكي في مناطق الجنوب الجزائري

المهدة لظهور المنظومات الفقهية

يرجع تاريخ وجود المذهب المالكي في الجزائر إلى عهد الدولة الإدريسية (172هـ) وهو تاريخ ظهور المذهب بالمغرب العربي عموماً، حيث شهد انتشار المذهب المالكي به منحىً تصاعدياً دون غيره من المذاهب، كما تؤكد المقدمة: "وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد

في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم⁽¹⁾.

وكان علي بن زياد التونسي (ت 183هـ) هو أول من جاء بكتاب الموطأ إلى إفريقية، ثم انتشر المذهب في كامل المغرب العربي على أيدي كوكبة من العلماء منهم أسد بن الفرات (ت 213هـ) وسحنون (ت 240هـ) وغيرهما ممن أخذوا عنهما من علماء الجزائر والمغرب وتونس.

ولا شك أن التصور الأمثل لتوسع وانتشار المذهب المالكي في مناطق الجنوب الجزائري، إنما ينطلق لا محالة من تصور مبدئي لدخول المذهب المالكي إلى هذا الوطن وعطاء علماء الجزائر في الفقه المالكي؛ وإن كان من العسير حصر إنتاج علماء الجزائر عبر القرون في هذا المجال، فإن ذلك من باب المستحيل، وقد يكون من الإدعاء أن نقول أنه تم إحصاء كل ما أُلف في مجال الفقه خلال ما يقارب اثنا عشر قرناً؛ لأنّ الإنتاج غزير ومتنوع الأغراض، بين شروح للمختصرات وحواشٍ ونوازل وقضايا وفرائض وموسوعات فقهية.

وقد كتب علماءنا في جميع أبواب الفقه ومسائله، وألّفوا مختصرات فقهية أصبحت محلّ شرح ودراسة سواء من علماء المغرب أو المشرق، كالوغيلسي للشيخ عبد الرحمن الوغيلسي البجائي، ومختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضرى الفقهى، وأرجوزة التلمساني في الفرائض...، وغيرها مما أُلّف حول الموطأ والمدونة وجامع الأمهات ومختصر خليل.

1- الموطأ:

وهو المصدر الأول في الفقه المالكي، والذين كتبوا عليه من أعيان الجزائر المعروف منهم: أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ) من علماء مدينة المسيلة أو مدينة بسكرة، له باع طويل في الفقه والحديث. ترك عدة مؤلفات من بينها كتابين في الفقه لهما أهمية كبيرة في التراث الفقهي المالكي وهما: كتاب الأموال الذي

دور فقهاء الجنوب الجزائري في تيسير حفظ مسائل الفقه — أ. عمر بوعلالة وأ. عبد الله الحاج أحمد

بحث فيه النظام المالي للدولة الإسلامية من حيث الموارد والمصارف، والثاني: شرحه للموطأ، إذ يعدّ من أوائل الشروح ظهوراً في المغرب الأوسط، وسماه: القاضي في شرح الموطأ. وشرحه أيضاً مروان بن محمد الأسدي البوني (ت قبل 440هـ)، قال القاضي عياض فيه - في كتابه ترتيب المدارك -: "كتاباً مشهوراً حسناً، رواه عنه الناس".

وكتب الأديب الكاتب حسن بن عبد الله بن حسن أبو علي الأشيري (ت بعد 569هـ) على الموطأ شرحاً سماه: مجموع في غريب الموطأ، وللشيخ محمد بن عبد الحق الكوفي اليعفري (ت 625هـ) تأليف في غريب الموطأ أيضاً، ووضع الشيخ محمد بن الحسن أركان الراشدي فقيه مدينة تلمسان (ت 868هـ) كتاباً بحث فيه رجال الموطأ سماه: المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ، وللشيخ الحسن ابن رشيق أبو علي الشهير بالقيرواني (ت 463هـ) شرح الموطأ، كما ألف الشيخ محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ) كتابه: جني الجنتين في فضل الليلتين في بلاغات الموطأ⁽²⁾.

2- المدونة:

وهي الأصل الثاني المعتمد في معرفة الفقه المالكي، ومرجع جميع الفقهاء في نقل أقوال مالك وابن القاسم قديماً وحديثاً، ومصادر التراجم أشارت إلى أنّ من بين أهم الحواشي التي وضعت تكملة الشيخ محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي (ت 866هـ) التي وضعها على حاشية المدونة لأبي مهدي عيسى الوانوغلي، والتكملة من أهم المؤلفات الفقهية الهامة التي لا تزال في عداد المخطوطات إذ لم تحقق بعد - توجد منها نسخة بمكتبة الأوقاف الليبية-، وقد انتهج المشدالي فيها نهجاً مميزاً جمع فيه بين الترجمة لبعض الأعلام والاعتناء بالمباحث اللغوية والنحوية، ومناقشة بعض الإشكالات الفقهية، وقد علق أحمد بابا التنبكتي عنها في كتابه كفاية المحتاج قائلاً: "في غاية الحسن والتحقيق تدل على إمامته في

3- الجامع لأمّهات الفقه:

وَمَنْ تَصَدَّى لشرحہ الشیخ أبو زید عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللہ بن الإمام التلمسانی (ت 743ھ)، وکتب علیہ شیخ علماء الجزائر والمغرب محمد بن محمد □□□□ (١٧٥٨ھ) □□□□ تتبع وتعبق فيها كثيرا على ابن عبد السلام التونسي، وقد جمع هذه الطرر الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي (ت924ھ) وسماها: الدرر القلائد □□□□ □□□□ □□□□.

في جميع
 ...
 أيضا
 الشيخ محمد بن أحمد بن مرزوق (ت781هـ)
 ابن الحاجب، أما الشيخ محمد بن محمد اليحصبي التلمساني (ت799هـ)

[illegible]

المختصر، ويعد الشيخ محمد بلعالم الزجلاني (ت1212هـ) أول من شرح مختصر خليل في منطقة توات.

ثانياً: المنظومات الفقهية في مناطق الجنوب الجزائري بين المضمون والوظيفة.

الفقه على علو منزلته في الفكر الإسلامي يوشك أن يبعث الكلل في أذهان من يختص به - لا يختص به - في المصنفات الفقهية في - لا يختص به - لم يسهل له من قبله من قبله يحسن ويحدد ويحدد ويحدد وتوضيح الإشارة، فبرز أدباء الفقهاء الذين جعلوا النظم أقرب المسالك إلى فقه الإمام مالك بالكلمة المقفاة الموزونة التي تستقر في العقل دونها عناء، ويحتضنها الذوق لحسن الدلالة والأداء، وذلك ما عرف في الفقه بلون الرجز.

لقد أسجبت الجزائر كثيراً من الفقهاء الذين نَحَوْا هذا النحو وانتهجوا هذا النهج في تدوين الفقه المالكي تسهياً على الراغبين في تحصيله. ثم إن الطبيعة الصحراوية اقتضت نمط الشعر في حياة سكان الجنوب، فقام العديد من العلماء بإنشاء منظومات وأراجيز بغية استمالة نفوس الصغار والعامة لحلقات الدراسة، ولأجل تسهيل الحفظ إذ النظم أسهل للحفظ كما قيل:

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

وَحَفِظْهُ يَدْعُوا إِلَى التَّبَجِيلِ

فعمدوا إلى المختصرات الفقهية وقاموا بنظمها، وتدريسها في المدارس والجامع والمحاضر والزوايا في شتى أنحاء البلاد، وعرفت تداولاً واسعاً بين

دور فقهاء الجنوب الجزائري في تيسير حفظ مسائل الفقه — أ. عمر بوعلالة وأ. عبد الله الحاج أحمد

الناس الأمر الذي يحول دون أن نحيط في هذه العجالة بجميع الفقهاء في مناطق الجنوب الجزائري ممن هم على درجة عالية في هذا الفن، وهم كثيرون لا يتسع المقام لإحصائهم، ولذلك سنقتصر على ذكر نماذج من هذه المنظومات لا على سبيل الأفضلية والأهمية، وإنما على سبيل التمثيل والبيان لاتساع فضاء المدرسة المالكية في الجنوب، وذلك كالآتي:

1. **الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن محمد (1133هـ)**
الذي تولى قضاء الجماعة في توات عام 1092هـ **في نظم** **الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن محمد (1133هـ)**
: **في نظم** **الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن محمد (1133هـ)**

*** في نظم **الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن محمد (1133هـ)**

جَنَحْتُ لِلإِيَّازِ لَا لِإِسْهَابِ *** خَوْفَ السَّامَةِ عَلَى الطُّلَابِ

2. **العبقري نظم سهو الأخضرى: الشيخ محمد بن أب المزمري (1160هـ)**
فيه مؤلفه باب السهو من مختصر الشيخ الأخضرى، وق **الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التتيلاني** بوضع شرح عليه حل مقفله وأوضح مشكله وبين مسائله سماه: **المورد العنبري بشرح العبقري**، كما قام الشيخ مولاي أحمد الطاهري بشرحه شرحا حافلا، و لشتات مسائل السهو جامعاً في مؤلفه: **العقد الجوهري شرح على** **الشيخ محمد بن أب المزمري (1160هـ)** (7).

3. **جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل: للشيخ خليفة بن حسن القماري**، في ثمانية آلاف بيت. وكان قد فرغ من تأليفه عندما أصبح طاعناً في السن. وقد قام بشرحه الشيخ محمد باي بلعالم في مؤلفه: "مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل، شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر **الشيخ محمد بن أب المزمري (1160هـ)** في عشرة مجلدات.

الشيخ محمد بن أب المزمري (1160هـ) ببلدة قمار ضاحية وادي سوف وعاش حياته العلمية متنقلاً بين

8. فتح الرحيم المالک في مذهب الإمام مالک: للشيخ محمد باي بلعالم أيضاً
 2509 13 (13).

9. نظم إرشاد السالك: تأليف الشيخ عبد الرحمن حفصي نظم فيه مؤلف متن إرشاد السالك في الفقه على مذهب الإمام مالك من تأليف الشيخ ابن عسكر .

10. نظم مختصر خليل : تأليف الشيخ أحمد بن مصطفى الرقادي
 ١٤١٥ هـ، وهو نظم سلس رائق حافظ على أغلب بناء المختصر، والكتاب لم
 يرد في فهرستات الكتب المطبوعة ولا غير المطبوعة.

[illegible]

تتمثل أهمية التراث الثقافي للمنظومات أنها أنها تتركز على القيم الثقافية والدينية التي تشكل هوية المجتمع وتاريخه، كما أنها تساهم في الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيزها، وعلى الرغم من ذلك، فإن التراث الثقافي يواجه تحديات عديدة، منها:

- نقص الوعي بأهمية التراث الثقافي.
- قلة الاهتمام بالبحوث والتأليفات المتعلقة بالتراث الثقافي.
- ضعف التمويل المخصص للحفاظ على التراث الثقافي.

في الفقه يهتم بها الفقهاء المسلمون على وجه الخصوص، ويحرصون على حمايتها وتطويرها، ويعتبرونها جزءاً لا يتجزأ من العمل الإسلامي، وغيرها من المميزات نذكر منها:

1. تقريب الفقه إلى القراء وغير المتخصصين: فوظيفة تلکم المنظومات، أنها دائماً كانت تستجيب لحاجة ماسة في صياغة الفقه الإسلامي، وهي حاجة القراء إلى تقريب الفقه منهم بأسلوب سهل العبارة، واضح المعنى، يسير الاستظهار.

هذا المنهج عرفه الأسلاف وهم يعملون على تقريب الفقه الإسلامي لغير

تتخصصين، فهذا الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - يصل في اجتهاده لتقريب الفقه الإسلامي من المتفهمة إلى استعمال الرقوم المرسومة بالحمرة فوق الكلمات في كتابة "الوجيز" ولولا إرادة التسهيل ما لجأ الإمام إلى الرموز والألوان.

وهذا الإمام أبو محمد عبد الله بن شاس يقسم كتابه " عقد الجواهر الثمينة في فقه عالم المدينة " تقسيماً منهجياً بديعاً يعتمد إجمالاً على تقسيم الفقه إلى أربعة كتب: العبادات، والمعاملات، والمناكحات، والجراحات. ثم يقسم كل كتاب إلى أبواب وكل باب إلى فصول. وهو منهج يؤهل الدارس لوعي المسائل الفقهية

وفكر آخرون من أعلام هذه الأمة في مناهج أخرى لتقريب الفقه من المتعلمين فعمدوا إلى منهج الاختصار كصنيع الفقيه الكبير خليل بن إسحاق عندما ألف كتابه المختصر الذي يعتبر موسوعة فقهية متفردة

[illegible]

بالعَبْقري في نظم سَهو الاخصري

3. الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية: اللذين هما أصل الفقه
الفقهية لترسيخ ثقافة الاستشهاد بهما، وذلك منهج حسن ينبغي أن يربى الناشئة
عليه؛ لأن الناس إنما هم مخاطبون بالوحى، ومن ذلك قول ابن بادى في مطلع

• ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كَلَّا عَلَى الْفَقْهِ بَلُّوْا نَفَرًا

مُصَلِّياً مُسْلِماً عَلَى الَّذِي

قال: عماد ديننا

حَرْبًا عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أُنْفِ عَبْدٍ

فقهه في دينه السامي النضير

فقوله: (بلولا نفرا) يشير به إلى قوله تعالى: ﴿

يُحَذِّرُونَ [١٢٢: ١٢٢].

[illegible]

4. من بين المزايا التي تعتبر المختصرة تعتبر

لكنوز مصنفاتهم

من منظورهم،

في منظوماتهم وقد

إلى الاعتماد على الآثار، وترك

الإدراك

على الجميع الاعتماد على

غير مسموح به في الصلاة.

5. التسامح: التسامح والحكمة تقتضي عدم تأجيج الاختلافات بين الناس على رأي واحد ضيقا وحرجا، وديننا يسر، وشريعتنا سمحة، ولذلك كانت أكثر النصوص بعبارة مجملة كلية مرنة، تحتل أكثر من معني، وتستوعب أكثر ظروف، حتى تتسع لتعدد الأفهام وتنوع الآراء والاجتهادات، من ذلك قول محمد باي بلعالم في أرجوزته فتح الرحيم المسالك، في معرض كلامه على مسألة القبض والسدل في الصلاة:

لدى الجواهر وسدل وردا

في بعض أقوال الفقهاء

والعالم الكامل وهو المنصف

في بعض أقوال الفقهاء

6. التجدد المستمر فالمنظومات الفقهية وإن كانت مرتبة على أبواب الفقه؛ إلا أنها تتميز بتجدد مضمونها، حيث تمتاز بـ "الفترة الزمنية" فيها. قال الشيخ محمد باي بلعالم في أرجوزته "فتح الرحيم المسالك":

ويثبت الصوم بما استجد
وآلة الإرسال مثل التلفزة
من آلة أخبارها قد وجدا
وفاكس وهاتف إن أخبره
لأن صدق هاته الوسائل
بأن لكل عالم وسائل

تقديم المواد التعليمية للطلبة في قالب النظم بالذهن، وأقرب إلى الحفظ" من أهم مبادئه. «دور فقهاء الجنوب الجزائري في التأسيس للنظام التعليمي الحديث»

في مناطق الجنوب الجزائري، في نظم المسائل
 الفقهية؛ مما ولد تراثاً فقهياً زاخراً يحمل في طياته مختلف الفوائد العلمية المتعلقة
 بأصول الأحكام، وطريقة التطبيق؛ وربما جاز **المصنف** **رحمه الله**
 في **المصنف** **رحمه الله**.

كما تميز منهج المنظومات الفقهاء الفقهاء الفقهاء :

1. تقريب الفقه إلى القراء وغير المتخصصين
- الشرعية وتيسير إيصالها إلى
2. اعتماد بحور الشعر السهلة والميسرة كالرجز، لطواعيته للنظم؛
3. أنهم يحيلون على
4. أنهم يحيلون على
- في منظوماتهم وقد
- وكسر
- الاعتماد على الآثار، وترك
- المعتبر؛
5. ترسيخ روح التسامح: فالتسامح والحكمة تقتضي عدم تأجيج الاختلافات

ضيقة وحرجا، وديننا يسر، وشريعتنا سمحة، ولذلك كانت أكثر النصوص مصوغة
ببارة مجملة كلية مَرَّة، تحتمل أكثر من معني، وتستوعب أكثر من ظرف، حتى تتسع
لتعدد الأفهام وتنوع الآراء والاجتهادات

6. التجدد المستمر فالمنظومات الفقهية وإن كانت مرتبة على أبواب الفقه؛ إلا
أنها تتميز بتجدد مضمونها حيث تمتاز بالسهولة واليسر في الفترة الزمنية
التي تتناولها.

إلى أن يرى أن هذا النوع من التجدد ليس هو التجدد الحقيقي الذي ينبغي
أن يكون له دور في تطوير الفقه الإسلامي، بل هو مجرد تجديد شكلي، يهدف
إلى جعل الفقه الإسلامي أكثر قربا من الواقع المعاصر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الحواشي والإحالات:

- (1) - الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب: ط4 بيروت، دار الكتب العلمية، 1398هـ / 1978م، ص449.
- (2) - عادل نويهض: الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب، ط1، بيروت، منشورات الكتاب التجاري، 1971م، ص62-63.
- (3) - أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح علي عمر، ط1، مكتبة دار الكتب العلمية، 2004م، ص2.
- (4) - ابن خلدون، المصدر السابق، ص
- (5) - عمار جبدل، أسماء التأليف في الفقه والأصول في الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مخبر الشريعة، جامعة الجزائر، 2004م، السنة الأولى، العدد الأول، ص176-177.
- (6) - محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب - جهود فقهاء توات في خدمة الفقه المالكي - دراسة في الأعلام والموضوعات - أعمال الملتقى الدولي الثالث عشر، المذهب المالكي - المعهد العربي للدراسات الإسلامية - جامعة أدرار، نوفمبر 2010م، ص461.
- (7) - جعفري أحمد، المرجع نفسه، ص461-462.
- (8) - إبراهيم بن عبد الله بن عبد الوهاب: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص2.

دور فقهاء الجنوب الجزائري في تيسير حفظ مسائل الفقه — أ. عمر بوعلالة وأ. عبد الله الحاج أحمد

ص78.

(9)- محمد باي بن العالم: إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادى لمختصر خليل، ط1، بيروت، دار

الكتاب، 1428هـ - 2007م، ص38-39.

(10)- محمد باي بن العالم: المرجع نفسه، نفس المجلد نفسه.

(11)- المرجع نفسه، ص24.

(12)- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(13)- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(14)- بلغنا نبأ وفاته ونحن نوشك على نهاية تبيض هذا البحث يوم الثلاثاء 28 ربيع الأول 1433هـ 21

ربيع الأول 2012م رحمه الله تعالى.

